الفصلُ الثّاني

مهامُّ التّحرير العاجِلة

إنجازُ مهمّة التحرير يتطلّب خططًا واستراتيجياتٍ طويلة الأجل، لنكون في نهايتها قادرينَ على خوض معركة التحرير الحاسمة، وتحطيم قوة العدو، والتأكّدِ من عدم قدرته على معاودة احتلال أيّ جزءٍ من فلسطين مهما كانت معاوناتُ الغرب الأوروبي والأمريكي له.

وحتى يتحقّق لنا هذا الاستعداد الكامل، والتأهّب التام لخوض معركة التحرير الحاسمة؛ فإنّ هناك مهامّ عاجلةً ينبغي أن نؤدّيها فورًا، وبلا أيّ تأخير، والتأخيرُ في هذه المهمّات العاجلة يترتّب عليه إعاقة حربِ التحرير النهائية، وإطالة فترة الاحتلال، ومِن هذه المهامّ العاجلة:

١ـ المحافظةُ على المكتَسَبات:

نقصدُ بالمكتَسبات التي تحقّقت في القرن الماضي، وفي مقدّمة ذلك:

أـ التّمثيل الديمقراطي للشعب الفلسطيني:

فكما أوضَحنا في أبوابٍ سابقة أنه مِن أضعفِ النّقاط في تاريخ فلسطين المعاصر هو غيابُ الممثّل الشرعي لفلسطين بالمعنى السياسيّ المعاصر فوْر هزيمة الدولة العثمانية وسقوط الخلافة الإسلامية التي كانت تعتبر فلسطينَ ولايةً تابعة لها مباشرة.

ولقد نجحَ الشعب الفلسطيني في سدّ هذه الثغرة، وكافح ليكونَ له تمثيلٌ شرعي لدى المنظمات والهيئات الدولية وكافّة دول العالم، وهو منظمة التحرير الفلسطينيّة.

واستطاعت المنظمة أنْ تتحمّل تبعات القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وعلى موائدِ المفاوضات حتى تمكّنت من نقل الصراع من عواصم العالم العربي الأخرى كالأردن ومصر وسوريا ولبنان وتونس إلى داخل الأرض الفلسطينية في غزة وأريحا ورام الله وجنين والقدس والخليل.

ومهما كان موقفُنا مِن منظمة التحرير، واعتراضُنا على سيْرها في فلك الحكومات العربية الأخرى من حيث قبولها بالتفاوضِ على جزءٍ من فلسطين، وقبولها بوجود المحتلّ الصهيوني على جزءٍ آخر من الأرض العربية، فإنّ المعنى المطلوب أن نحافظ عليه هو وجودُ ممثّل شرعي للشعب الفلسطيني.

ويستطيع الشعبُ الفلسطيني أن يفرضَ إرادته، ويغيّر قيادته، ويتمسّك بالديمقراطية كآليةٍ صحيحة لنصبِ هذا المسئول الممثّل للشعب الفلسطيني.

كما أنّ ديمقراطية اختيار ممثّلٍ لفلسطين هي الضمانُ لتمثيل كافّة القوى الفلسطينية حسبَ أوزانها السياسيّة الحقيقيّة بين أبناء الشعب الفلسطيني، وإذا حاول أيّ طرف مِن الأطراف الفلسطينيّة فرضَ قراره ووجهةِ نظره على بقية إخوانه في مسيرة التحرير؛ فإنّه بذلك يدمّر الوجود الفلسطيني، ويضع نفسه تلقائيًّا في صفّ الأعداء.

ويتمنى كلّ مخلِصٍ لله عاملٍ على تحرير أرض فلسطين من رجس الصهيونية؛ أنْ تكونَ المنظمات الفلسطينية جميعُها على مستوى المسئولية في هذه المرحلة من مراحل التحرير، وتعلو فوق أنانيتها ورغباتها الشخصية، وتقدم المصلحة العليا لمهمّة التحرير فوق كلّ مصلحة شخصية أو حزبية أو منظماتيّة.

إنني أعلمُ، بل وألتقي بالكثيرين المعْترضين على مسيرة مُنظمة التحرير، خاصّة في الآونةِ الأخيرة، ولقد تضامنتُ معهم في ذلك اعتراضًا على قبول المنظمة بوجود الصهيونية على أيّ جزءٍ من أرض فلسطين، ولو كان ذلك تكتيكيًّا، ومع ذلك فإنني أرجو مِن هؤلاء أن يزنوا الأمورَ بميزان الله العادل في تقْييم مسيرة الأفراد والمنظمة؛ فيضعون الحسناتِ في كفّة ويضعون السيّئات في كفة أخرى، وإني لأرجو أنْ ترجح كفّة الحسنات على السيئات.

ومع ذلك، فالأمر فيه خلافٌ على الأشخاص والمنظمات، وهو خلاف مَقبول، أمّا المرفوض فهو أنْ تبقى فلسطين بلا ممثّل مُنتخب من الشعب الفلسطيني بطريقة ديمقراطية، المرفوض أن تظلّ فلسطين لعبةً في يدِ الأنظمة الأخرى عربيّة كانت أمْ عالمية، المرفوضُ أن يُتَّخذ القرارُ بشأن فلسطين ممّن لا يرتبطون بها شعبًا ولا أرضًا ولا تاريخًا، ولقد عهدْنا قرارات هؤلاء على مدارِ التاريخ، وكانت في الغالب ضدّ مصلحة فلسطين وشعبها.

ب- الوحدةُ الفلسطينيّة:

مِن المكتَسبات التي ألمحُها على الساحة الفلسطينية طيلةَ القرن الماضي أنّ المحنة جمعتِ الشعب الفلسطيني على قلبِ رجلٍ واحد. لقد تعدّدت المنظماتُ الفلسطينيّة في توجّهاتها وانتماءاتها، ولكنّ القاسم المشترك بين تلك المنظّمات جميعها أنّها قدّمت حقّ المعركة على كلّ الحقوق الخاصة، وبفضل الله وجدْنا أبناءَ فلسطين في كلّ وقت يدًا واحدة في مواجهة المحتلّ، وحافظ كلّ فصيلٍ على حقّ الأخوة وصانَ أمانتَها، وكم أسعدَنا وهزّنا من الأعماق صوتُ الشيخ أحمد ياسين وهو يؤذّن في العالم أن قيادتنا واحدة وممثلنا واحد، هو ياسر عرفات، مع أنّ الشيخ أحمد ياسين يختلفُ

مع الرئيس عرفات في الكثير، نعم.. هناك خلافات، ولكنّ مطلبَ وحدة الصف الفلسطيني يعتبر أهمّ مِن كلّ الأهداف المرحليّة، وهو الكفيل بتحقيق الأهداف، ومنها تصحيحُ مسيرة المنظمة نفسها. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الصهيونية المحتلّة قبلتِ التفاوض مع المنظمة مراهنةً على أن المنظمة سوف تنوبُ عن الصهيونية في كبْح جِماح الكفاح الفلسطيني المسلّح، وعلى رأسها منظمة حماس ومنظمة الجهاد، ولكنّ المنظمة استطاعت حتى الآن أنْ تسير على الشّوك، وتكفّ يدَها عن أيّ مواجهة مع المناضلين الفلسطينيّين في حماس والجهاد.

ورغمَ كلّ الضغوط الأمريكية والصهيونية والأوروبية، فإنّ الإجراءات التي استخدمتْها المنظّمة في مواجهة حماس والجهاد كانت مِن النوع السياسي والإعلامي، ولم تكنْ تهدُف للإعاقة أو المواجهة أو الاستئصال.

نحن نتمنّى مِن كلّ الأطراف الفلسطينية أن تستوعبَ الظروف العالمية التي تمرّ بها قضية فلسطين الآن، وأن يتّسع صدر الجميع للجميع، وأنْ نفوت على عدونا رهانَه الأثيم بوقوع قتالٍ فلسطيني- فلسطيني داخلي، وعلينا أن نوجّه رصاصنا ناحيةَ العدو الصهيوني المشترك لنحافظ معًا على وحدتنا الفلسطينية، تلك الوحدة التي كانت في الفترة الماضية قلعتَنا التي نحتمي بها من الذّوبان والانقراض، وننطلق مِن خلالها لنوقع بعدونا ضرباتٍ موجعة، وتحقّق في مواجهته بطولات تاريخية.

جـ - خيارُ المقاومة:

ومِن المكتسبات التي تحقّقت في الأرض الفلسطينية كذلك أنّ المقاومة المسلّحة للعدو هي أفضلُ الوسائل في تحقيق مهمّة التحرير.

لقد تأكّد للكافّة أنّ العمليات القتالية والجهادية والاستشهادية هي اللّغة الفصحى التي فهمَها العدو وتراجعَ أمام قوتها.

ولقد تأكّد للكافة أنّ الصهاينة قبلوا التفاوضَ مع عرفات ليتّقوا به نارَ الانتفاضة الأولى، وأنّهم اليوم يبنون سورًا خرسانيًّا ليدفنوا فيه حلمَهم بدولةٍ من النيل إلى الفرات نتيجةً للعمليات الاستشهادية. والعملياتُ الاستشهادية والمقاومة المسلحة بكلّ أشكالها هي التي جعلتِ السؤال المطروحَ اليوم على موائد العدو: هلْ للصهيونية مستقبلٌ في فلسطين؟ ومِن الصهاينة مَن أجاب قائلا: لو استمرّت العمليات الاستشهادية بنفس درجة القوّة التي هي عليها الآن؛ سينتهي الحلمُ الصهيوني قبل حلول عام ٢٠٢٥ تمامًا.

والذين يقولون إنّ الحرب لا تحلّ المشكلات يفتقدون الدليلَ على صحة قولهم، وعلى عكسِ ما يقول هؤلاء فإنّ التاريخ يشهدُ أنّ أوروبا أنهت مشكلةَ النازية العنصرية بالحربِ الشعبية والرسمية معًا، والمسلمون أنْهوا مشكلة الاحتلال في معظم بلدانِ العالمين العربي والإسلامي بالحربِ والنضال من أجلِ التحرير. والمصريون أنفسُهم أنهوا احتلالَ سيناء بالحرب وحدها، وما كان العدوّ لينسحب منها دونَ قتال مريرٍ في حرب الاستنزاف، ثمّ في حرب رمضان- أكتوبر، وفي البوسنة والهرسك استطاعَ المسلمون مقاومةَ حرب الإبادة التي شنّتها أوروبا عليهم بالحربِ الشعبية الضّروس، وبتدخّل قوَى دوليّة عسكرية ضدّ خصومهم. والتاريخُ القديم كذلك خيرُ شاهد، الصليبيّون لم يرحلوا عن فلسطين بغيْر الحرب، والتّتار لم يرحلوا بغير الحرب، والحربُ هي الحلّ الوحيد أمام غطرسة المحتلّ وإجرامِه وتجبّره.

إنّ خيار المقاومة خيارٌ أساس وضروري، ولا يتعارضُ هذا مع وجود المفاوضات، على أنْ تكون حول ترتيباتِ إعادة الحقوق التي نحارب من أجلها، وليس لهضم تلك الحقوق أو التّنازل عنها، والتفاوض مرغوبٌ في إطارِ الثّوابت التي ألقينا الضوءَ عليها في الجزءِ الأول من هذا الكتاب، والضمانُ الوحيد لنجاح المفاوضات هو استمرارُ المقاومة المسلحة. ولا يفتّ في عضُدِ المجاهدين اتهامهم بالإرهاب أو التّطرف، فلو قال العدوّ غير ذلك لتعجّبنا لقوله.

والقائلون بأنّ الحرب تزرع الكراهية لا غبارَ على كلامهم، ولكنّ القيمة العليا التي نحارب مِن أجلها ليست الحبّ المغشوش، وإنما العدل وردّ الظلم، ومن كرهَ العدلَ والعدالة فلا حاجةَ لنا في حبّه، والأممُ العِظام تهتمّ بقضية العدل قبل قضية الحبّ والكراهية، لقوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المائدة:٨)، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر)، والصهاينة أهل فحشاء وأهل منكر وأهل بغي، والذين يتصدون لهم أهل عدل وأهل إحسان وأهل رحمة وصلة، مهما وصفهم خصومهم بالإرهاب.

ثانيًا: المُعاونات الميدانيّة:

تحتاجُ المكتسبات الثلاثُ وهي: ديمقراطية القيادة، ووحدة الصف الفلسطيني، وخيار المقاومة؛ إلى دعمٍ عربي وإسلامي مستمرّ، وهذا الدعم وحدَه هو الكفيلُ بالمحافظة على هذه المكتسبات وتنميتها، والانطلاق منها إلى مرحلةِ التحرير الشامل لكلّ فلسطين.

وقبل أن نطرحَ تصوّرنا حول المعاونات الواجبة علينا جميعًا: شعوبًا وحكومات؛ ننبّه لعدة نقاط مهمّة تتّصل بالموضوع، وهي:

أولًا: لقد آنَ الأوان لأمتنا العربية والإسلامية أن تعتمدَ على الله، ثمّ على نفسها وقوّتها الذاتية في معركتها مع العدوّ الصهيوني، ونصرة الحقّ الذي نؤمن به جميعًا.

ثانيًا: إنّ المعركة على الأرض الفلسطينية هي معركتُنا جميعًا كعربٍ ومسلمين، والشعبُ الفلسطيني هو طليعتُنا المقاتلة في ميدان المعركة، وعلينا أنْ نحمي ظهرَه، وأنْ نمدّه بما يمكّنُه من هزيمة خصمِنا المشترك وعدونا القومي والتاريخي، وعلينا أن نعي في هذا المجال:

١ـ أنّ الأمن القومي العربي والإسلامي كلّه يظلّ مهدَّدًا طالما بقيت الصهيونيةُ محتلّةً لفلسطين.

٢ـ أنّ المقدسات الموجودة على التراب الفلسطيني تخصّ الأمةَ العربية والإسلامية جميعها.

٣ـ أنّ تحميل الشعب الفلسطيني المسئولية وحدَه يعدّ ظلمًا صارخًا لهذا الشعب؛ فالمعركة عالميّة في مواجهة الأمّة العربية والإسلامية بأسرها، فكيف نحمّلُ شعبًا واحدًا هذا العبْءَ الثقيل؟

ثالثًا: إنّ المعاونات التي نطالبُ بتقديمها لشعبنا الفلسطيني اليومَ تتّسق تمامًا مع كلّ القوانين الدولية والعرف الدولي وقرارات الأمم المتحدة وكافة المنظمات الإقليمية الأخرى وميثاق جامعة الدول العربية، وكذلك دساتير بلادنا العربية والإسلامية.

رابعًا: إنّ الجهاد الفلسطيني، الذي نعمل على دعمِه ومعاونته يشملُ كافة المهتمّين بالشأن الفلسطيني والعاملين على استرجاع الحقّ العربي الأصيل في الأراضي الفلسطينية الكاملة.

المعاوناتُ التي نراها واجبةً على الأمّة في هذه المرحلة:

أولًا: المُعاونات الإيمانية: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾.

١ـ أنْ نتوجّه بعملنا كلّه لله، والتخلّي تمامًا عن كلّ ما يغضبُ الله في حياتنا: أفرادًا، وأسرًا، وشعوبًا، وحكومات؛ حتى نكون أهلًا لعون الله وتوفيقه فيما ننْويه مِن عملٍ يعتبر ذروة الإسلام، وهو الجهادُ في سبيل الله لنصرة المظلومين في أرض فلسطين.

٢ـ نجتهدَ ما اسْتطعنا في الدّعاء لهم بالنصر والثبات، ونختار لذلك أفضلَ الأوقات.

٣ـ الدعوة لنشاطاتٍ روحية بهدف استجلابِ نصر الله لأهل فلسطين: كالصلاة، والصيام، والصدقة.

٤ .الصلوات الجماعية على أرواحِ الشهداء في المساجدِ والجامعاتِ والمدارس.

٥ـ اعتبار موضوع الحثّ على الجهاد والمقاومة موضوعًا دائمًا في كافّة خطب الجمعة، وما يقدّم في المساجد مِن دروس.

ثانيًا: المُعاونات الإغاثيّة:

تشملُ أعمالُ الإغاثة الإنسانية كافةَ ما يتّصل بتوفير الطعام والدواء والإيواء للمجاهدين والمواطنين وأسرهم بأرضِ العمليات الجهادية، وهي الآن كلّ فلسطين، ومِن ذلك:

١. تشكيل لجنةِ تحرير فلسطين بكافّة النقابات والمؤسسات والمدارس والجامعات للقيام بالواجبات الإغاثية.

٢ـ جمع التبرّعات المالية والعينيّة المناسبة تحت مظلّة قانونية حسب طبيعة كلّ موقع، وضمان سلامةِ السير بعملية الجمْع باتخاذ كافّة الضمانات القانونية التي تضمنُ وصولَ الأموال إلى فلسطين.

٣ـ نشر أرقام الحسابات الخاصة بدعْم فلسطين في كلّ مكان.

٤ـ تشكيل فرقِ إغاثةٍ لمعاونة الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر، مع تدريبِها على كافّة مجالات الإغاثة والإسعافات، والتنسيق مع الجهات المعنيّة في ذلك.

٥ـ تدريب المواطنين على أساليب مقاومةِ الحصار وأعمال التخريب الصهيونية مِن خلال:

١ـ التدريب على الاستفادة بالماء الأرضيّ ودقّ الأنابيب لاستخراجها.

٢ـ التدريب على استخدام كلّ المسطحاتِ المتاحة كمزارع للخضر، ومدّهم بالبذور.

٣ـ التدريب على استخدامات البلاستيك الشفّاف في أعمال الصّوَب والإعاشة والتدفئة، ومدّهم بالكميّات الكافية.

ثالثًا: المُعاونات الإعلاميّة والثقافية:

١ـ التعريفُ بالقضية الفلسطينية والصّراع العربي الصهيوني، وتطوّر هذا الصراع مِن الناحية التاريخية، مِن خلال:

أ- محاضرات بالجامعات والمدارس لعموم الطلاب.

ب- ندوات بالنقابات لعموم الأعضاء.

ج- دراسات ومقالات بالصحف.

د- أقراص وفلاشات تخدم القضية.

هـ- إصدار كتب وخرائط لفلسطين.

٢ـ رفع علم فلسطين في كلّ موقع، ووضع كلّ ما يذكّر بالقضية من الملصَقات الحائطية.

٣ـ عمل معارض ومسابقات حول الفنون والأدبيات المتعلقة بالشأن الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية.

٤ـ إقامة محاكماتٍ قانونية لمجرمي الحربِ الصهاينة، وفي مقدّمتهم رؤساء أمريكا .

رابعًا: المُعاونات السياسيّة:

ويشملُ ذلك:

١ـ استمرارَ المطالبة بقطع كافّة العلاقات مع العدو الصهيوني، وطردَ سفيره، وإغلاقَ سفارته من كافة البلاد، وفي مقدمتها مصر والأردن، وإعادةَ النظر في اتفاقية الاسْتسلام المسمّاة بكامب ديفيد.

٢ـ مخاطبةَ كافّة المنظّمات الدولية والإقليمية بوجهةِ نظرنا حول القضية الفلسطينية، ومطالبتها بأخذِ موقفٍ واضحٍ لمناصرة الحقّ الفلسطيني، وفي مقدّمتها الأمم

المتحدة وجمعيتها العمومية ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبي والمنظمات المهنية المناظرة، وكافّة المنظمات الأخرى.

٣ـ إرسالَ جماعات تمثّلنا لكافّة السفارات والمكاتب الدبلوماسية في مصر لشرح وجهةِ نظرنا تجاه الحقّ الفلسطيني، ومطالبتها بنقلِ ذلك إلى حكوماتها.

٤ـ استمرارَ مخاطبةِ الحكومات العربية والإسلامية لتتّخذ موقفًا أكثر إيجابية في دعم الجهاد الفلسطيني، وحثّها على إحداث مصالحة داخلية كاملةٍ تدعم الوحدةَ الوطنية، والعملَ على تنقية الأجْواء العربية حتى تتوجّه كافّة طاقات الأمة لمواجهة عدوّها الخارجي، ومَن يقف وراءه.

٥ـ إصدارَ كتابٍ أسود للدّول المتعاونة مع الصهيونية، وكتابٍ أبيض للدّول التي تقرّ بالحقّ العربي الإسلامي في فلسطين، وتدعمُ النّضال الفلسطيني.

خامسًا: المُعاونات الفنيّة:

تستهدفُ هذه المعاونات وقفَ نزيف الدّماء الفلسطينية الناشئة عن انفراد جيشِ الاحتلال بعتادِه وأسلحته بالمدنيّين مِن أبناء شعبنا الفلسطيني، وتشملُ هذه المعاوناتُ التدريبَ والتّسليح والإمدادَ والتموين العسكري، وفْقَ الأساليب المتعارَف عليها لدى أهلِ الخبرة في هذا المجال.

سادسًا: مُعاونات تستهدفُ إضعافَ قوّة العدو الصهيوني، وإعاقةَ خطّته الإجرامية، ويشمل ذلك:

١ـ المقاطعةَ الاقتصادية الشاملة للعدو الصهيوني ومَن يعاونه مِن الدول، وفي مقدّمتها أمريكا، وتنشيط التجارة البينيّة بين البلاد العربية والإسلامية والاكتفاء بها.

٢ـ قطعَ الإمداداتِ البترولية فورًا عن الصهاينة، وتفعيلَ ثرواتنا البترولية لخدمة القضية الفلسطينية، والضغطَ على أي دولة يثبت تورّطها في إعانة المحتلّ الصهيوني، ومناشدةَ شركات البترول المستفيدةِ بالبترول العربي والإسلامي أنْ تستخدم نفوذَها لدى حكوماتها لمناصرة الحقّ العربي، ودعمِ مقاومته المشروعة.

٣ـ استخدامَ الأرصدةِ العربية والإسلامية في البنوك لتقوية الاقتصاد العربي الإسلامي، وتحقيقِ الكفاية الاقتصادية لشعوبنا.

ونسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الرّشد والصواب، وأن يكلّل جهودنا بالنجاح، وأن يوفّقنا جميعًا لنكون مشاركينَ بالقول والفعل في نصرة الحقّ، وردّ الظلم، ودحْر الغاصب المحتلّ، اللّهم آمين.